الهوى وأثره في انحراف المعتقد والموقف من الغير

✍ د. صالح بن عبد العزيز التويجري (★)

المقدمة:

للانحراف الفكري عوامل ثلاثة تتكون من البيئة التي يعيش في ها الفرد والطبيعة التي جبل عليها، والمؤثّرات التي تعرض له كفتح الفضاء والانترنت والعمالة الوافدة والسياحة وهي أمور متداخلة يتعذّر فصلها عن بعض ومن ثم تستحكم العقد، ويتعذر العلاج إلا بتوفيق الله ثم بذل جهود متواصلة في فك هذا الارتباط، حيث يتعرّض كل منا لاختبار والحياة جبلت على كبد وكدر ، وحين يتعاظم شي ء ما يجب أن ينال عناية المختصين سواء كانوا ممن نجى وهو الأولى او ممن تلطّخ بشيء مما يحذر منه معذرة، وتعاوناً على البر والتقوى.

ولقد أصبح بعضنا فتنة لبعض لخلل في المواقف وتباين في الأقوال والأعمال الأمر الذي أضعف القدوة، وجرَّأ الألسنة وأضعف قول الحق في حينه لجريرة الضعف المتلبّس به صاحب الموقف. ولقد تصدّر للزهد والتقوى أقوام ليسوا على سنن الأولين وعرضت على مشرحة النقد مشاريع ، وتعرّضت الدعوة الى إعاقات وابتلي أصحاب المعتقد الصحيح بلوثات شوهت صفاء التجرد والإخلاص، ولأجل ذلك كانت هذه الورقة لعلها تكون مفتاحاً لمحاسبة النفس وبوابة لمواجهة الذات.

وهناك تقارب بين التقوى والورع.

وأما الفرق بين الورع والتقوى: فنذكر أولا تعريف كل منهما: فأما تعريف الورع: فقد قال ابن القيم رحمه الله: "سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما تخاف ضرره في الآخرة، وهذه العبارة من أحسن ما قيل في الزهد والورع وأجمعها"[1]. انتهى.

(★) أستاذ مشارك ، جامعة القصيم ، المملكة العربية السعودية.

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم الجوزية (12/2).

وأما تعريف التقوى: فقد قال شيخ الإسلام رحمه الله: "التقوى كما فسرها الأولون والآخرون: فعل ما أمرت به، وترك ما نهيت عنه، كما قال طلق بن حبيب لما وقعت الفتنة: اتقوها بالتقوى، قالوا: وما التقوى؟ قال: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله"[1]. انتهى.

التمهيد: تعريف الهوى.

لغة: يقول ابن فارس: "وهوت الطّعنة: فتحت فاها تهوي، وهو من الهواء: الخالي. وهوت أمه: شتم، أي سقطت وهلكت. و"أمه هاوية" كما يقال: ثاكلة. والمهوى: بعد ما بين الشيئين المنتصبين، حتى يقال ذلك لبعد ما بين المنكبين. والهوّة: الوهدة العميقة، وهوى النّفس مأخوذ من المعنيين جميعاً (أي من الخلوّ والسّقوط) لأنّه خال من كلّ شيء، ويهوي بصاحبه فيما لا ينبغي"[2].

اصطلاحاً: قال الكفويّ: الهوى: ميل النّفس إلى ما تستلذّه من الشّهوات من غير داعية الشّرع. وقال المناويّ: وقيل: الهوى: نزوع النّفس لسفل شهواتها لباعث انبساطها ويكون ذلك في مقابلة معتلى الرّوح. وقال الرّاغب: هو ميل النّفس إلى الشّهوة.

وقال ابن الجوزيّ- رحمه الله تعالى-: ميل الطّبع إلى ما يلائمه[3].

والأصل في المسلم الانسجام أقوالاً وأعمالاً ومواقف مع ما يعتقده وحين يتخلّف القول عن المعتقد فهذا خلل عقدي منشؤه إما نفاق أو غفلة ونسيان أو إكراه .

قال بن الجوزي : "تأملت إقدام العلماء على شهوات النّفس المنهي عنها، فرأيتها مرتبة تزاحم الكفر، لولا تلوح معنى: هو أن الناس عند مواقعة المحظور

(1) مجموع الفتاوى (132/20).
(2) انظر: مقاييس اللغة (16/6).
(3) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (3752/9).

ينقسمون. فمنهم: جاهل بالمحظور، أنه محظور، فهذا له نوع عذر. ومنهم: من يظن المحظور مكروهاً لا محرماً، فهذا قريب من الأول. وربما دخل في هذا القسم آدم ﷺ. ومنهم: من يتأول فيغلط، كما يقال: إن آدم عليه الصلاة والسلام نهي عن شجرة بعينها، فأكل من جنسها، لا من عينها. ومنهم: من يعلم التحريم، غير أن غلبات الشهوة أنسته تذكر ذاك. فشغله ما رأى عما يعلم"[1].

وهذه صور يعلمها العارفون من أنفسهم ويتفرّسونها في سلوك من حولهم.

وحين يتعرّض الإنسان لش يء من الابتلاء بدقائق مداخل النفوس ف إنه ينطلي عليه كثير من مسارب الشيطان ، وقد يراها في غيره ، لكنه ينغمر عنها تحت سلطة الهوى وسلطان الشهوة ، ولعلّ مناشط الحياة أكثر من ذي قبل ، وصور الأعمال الخيرية والمواقف الدعوية من الطوائف والفرق والأديان كذلك.

قال بن الجوزي : "فإن الخيرية بالمعاني لا بصورة العلم والعبادة. ومن تلمح خصال نفسه وذنوبها علم أنه على يقين من الذنوب والتقصير"[2].

جعل تسلّل الخلل ممكن أكثر من أي زمن مضى ذلك أن الدنيا دخلت مناشط الحياة حتّى الدّيني منها، والتبس الأمر على البعض هل غيرته لله أو لذاته أو لوظيفته فتعطلت مشاريع ، وصودرت حقوق ، ونسفت جهود وتمكّن الخصوم بسبب أغلفة نفسيّة تعسّر معها تخليص الحق من التّلفيق وتورّع أناسٍ عن أمور ، وقد تقحّموا غيرها مما هو أخطر منها، وما ذاك إلا لما أحاط بالناس والأحوال من لبس.

الأسباب :

1. ظاهرة اللبس عند المتعلّمين في هذه القضية.
2. مزيداً من الاستفادة الشخصية من بحث الموضوع.
3. لم أجد من فكّ هذا الاقتران بين الورعين.

المشكلة:

1. أين الخلل في فهم الورع ؟ أم ممارسته ؟ وإلى أي شيء مرجعه؟.
2. أي المسارات في الشّريعة أوسع وأيّها أضيق؟.

(1) صيد الخاطر، لابن الجوزي (ص37) .
(2) المرجع السابق، (ص295).

3. متى يدرك الإنسان أنه ورع أو مخلط؟.

اهداف البحث:

1. تجليّة واقع الورع الانتقائي من المطّرد.
2. نصيحة الخاصّة في علل القلوب.
3. بيان أنّ ثمّة أمراض يشترك فيها الخاصة والعامة.

المبحث الأول

المسألة الأولى: بيان حقيقة الهوى.

لفظة الهوى في الأصل هو ميل النفس إلى ما تحبّ من الخير والشّر.

قال ابن الجوزي رحمه الله معرّفاً له: "ميل الطبع إلى ما يلائمه وهذا الميل قد خلق في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لولا ميله إلى المطعم ما أكل، وإلى المشرب ما شرب، وإلى المنكَح ما نكح، وكذلك كل ما يشتهيه فالهوى مستجلب له ما يفيد، كما أن الغضب دافع عنه ما يؤ ذي، فلا يمدح الهوى على الإطلاق وإنّما يذمّ المفرط من ذلك، وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضار، ولما كان الغالب من مواقف الهوى أنه لا يقف منه على حد المنتفع أطلِق ذم الهوى والشهوات لعموم غلبة الضّرر"[1].

فإذا ذكر الهوى مطلقاً أو ذكر ذمّه فإنما يراد به الهوى المذموم لأنه الغالب.

قال الأصفهاني رحمه الله: "والهوى المذموم هو الميل إلى كل باطل ومحرّم وإليه ينصرف عند الإطلاق وإنما سمّي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية"[2].

قال الشعبي رحمه الله: "إنما سمّي الهوى لأنّه يهوي بصاحبه"[3].

قال بعضهم:

إن الهوان هو الهوى قصر اسمه *** فإذا هويت فقد لقيت هوانا

قال آخر:

إذا أنت لم تعص الهوى قادك ***الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقال

قيل للحسن البصري رحمه الله: "يا أبا سعيد: أي الجهاد أفضل؟ قال: جهادك هواك".

قال تعالى: چ ۇ ۆ ۆ و و ۇ ۇ ى ې ې د د ئا ئا ئه

(1) ذم الهوى، لابن الجوزي (ص12).
(2) المفردات (ص849).
(3) رواه الدارمي في سننه، باب اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة (389/1) برقم (409).

ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې چ [النازعات].

قال الألوسي رحمه الله عند قوله تعالى: چ ئو ئۇ ئۇ ئۆ چ: "أي: زجرها وكفّها عن الهوى المُردي، وهو الميل إلى الشّهوات، وضبطها بالصّبر والتّوطين على إيثار الخيرات، ولم يعتدَّ بمتاع الدنيا وزهرتاها، ولم يغترّ بزخارفها وزينتها علماً بوخامة عاقبتها.. قال بعض الحكماء: إذا أردت الصواب فانظر إلى هواك فخالفه. وقال الفضيل بن عياض: أفضل الأعمال مخالفة الهوى"[1].

وقال الشّاطبي رحمه الله في (الموافقات): "قد جعل الله اتّباع الهوى مضادّاً للحقّ وعدّه قسيماً له كما في قوله تعالى: چ ئې ئې ئى ئى ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ چ [سورة ص: من الآية 26].. وقال: چ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ چ [القلم]، فقد حصر الأمر في شيئين: الوحي -وهو الشريعة- والهوى، فلا ثالث لهما"[2].

وفي خصوص هذا الذي ذكره الشّاطبي رحمه الله يحكى عن بعضهم أنّه كان يطوف بالبيت، فنظر إلى امرأة جميلة فمشى إلى جانبها ثم قال:

أهوى هوى الدين واللذات تعجبني *** فكيف لي بهوى اللّذات والدين

فقالت له: دع أحدهما تنل الآخر.

وما أحسن قول بعضهم:

إذا طالبتك النّفس يوماً بشهوةٍ *** وكان عليها الخلاف طريق

فخالف هواها ما استطعت فإنّما *** هواها عدو والخلاف صديق

وقيل لبعض الحكماء: من الملوك؟ فقال: من ملك هواه واتّبع رضا مولاه.

وكان الجنيد رحمه الله يقول:

إذا خالفت النفس هواها *** صار داؤها دواها

المسألة الثانية: الهوى وخطره على القرار (للقاضي والمصلح والحاكم

(1) تفسير الألوسي = روح المعاني (238/15) .

(2) الموافقات، للشاطبي (290/2).

..)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وأئمة السنة والجماعة وأهل العلم والإيمان فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون الحق الذي يكونون فيه موافقين للسنة سالمين من البدعة، ويعدلون مع من خرج منها ولو ظلمهم، كما قال تعالى: ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﭼ [المائدة: 8]، ويرحمون الخلق فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، ولا يقصدون لهم الشر ابتداءً، بل إذا عاقبوهم وبيّنوا خطأهم وجهلهم وظلمهم كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمُّه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في الأمر ولا يطلبه، ولا يرضى لرضا الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه، ويكون مع ذلك معه شبهة دين أن الذي يرضى له ويغضب له أنه هو السنة، وهو الحق، وهو الدين، فإذا قدر أن الذي معه هو الحق المحض دين الإسلام، ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، بل قصد الحمية لنفسه وطائفته أو الرّياء، ليعظَّم هو ويثنى عليه، أو لغرض من الدنيا لم يكن لله"[1].

** **النّصوص الدالة على الابتعاد عن الفتن والحذر منها** وهي كثيرة جداً ومنها: قوله ﷺ: "إن بين أيديكم فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمنا ويصبح كافراً القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي قالوا: فما تأمرنا قال: كونوا أحلاس بيوتكم"[2].

ولهذا قال ابن الجوزي رحمه الله: "فمطلق الهوى يدعو إلى اللّذّة الحاضرة من غير فكر في عاقبة، ويحث على نيل الشهوات عاجلاً وإن كانت سبباً للألم

(1) الرد على البكري (ص258) .

(2) أخرجه أبو داود في سننه، باب في النهي عن السعي في الفتنة (101/4) برقم (4262)، وأحمد في مسنده (432/32) برقم (19662)، وقال محققوا المسند: "صحيح"، وقال الحاكم في مستدركه (487/4) برقم (8360): "صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

والأذى في العاجل ومنع لذات الآجل، فأما العاقل فإنه ينهى نفسه عن لذة تُعقب ألماً، وشهوةٍ تورث ندماً وكفى بهذا القدر مدحاً للعقل وذماً للهوى، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما ذكر الله عزّ وجلّ الهوى في موضع من كتابه إلا ذمّه، وقال الشّعبي: إنما سمي هوى لأنه يهوي بصاحبه"[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فمن هجر لهوى نفسه، أو هجر هجراً غير مأمور به كان خارجاً عن هذا، وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانّة أنها تفعله طاعة لله"[2].

وقال -رحمه الله-: "إذا كان مبتدعاً يدعو إلى عقائد تخالف الكتاب والسنة، أو يسلك طريقاً يخالف الكتاب والسنة... بُيِّن أمره للنّاس؛ ليتّقوا ضلاله، ويعلموا حاله، وهذا كله يجب أن يكون على وجه النّصح، وابتغاء وجه الله تعالى لا لهوى الشخص مع الإنسان؛ مثل أن يكون بينهما عداوة دنيوية، أو تحاسد أو تباغض أو تنازع على الرئاسة، فيتكلم بمساوئه مظهراً للنصح، وقصده في الباطن الغض من الشخص، واستيفاؤه منه؛ فهذا من عمل الشيطان"[3].

المبحث الثاني

المسألة الأولى: خطورة الانتقائية في باب الورع وعلاقتها بالهوى:

إنّ الهوى آفة تعتري المسلم فتفسد عليه معتقده ودينه بميلانه إلى ما تستلذّه نفسه من الشّهوات، و ما ينبسط إليه من أمور الدنيا ما يخالف شرع الله، ولهذا يقول الله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ[الأنعام: 159]، قال بعض المفسرين: صاروا فرقاً لاتباع أهوائهم، وبمفارقة الدين تشتتت أهواؤهم فافترقوا وهو قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ ثم برّأ الله نبيه بقوله: ﭽ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ وهم أصحاب البدع والكلام فيما لم يأذن الله فيه ولا رسوله[4].

(1) ذم الهوى، لابن الجوزي (ص12-13).
(2) مجموع الفتاوى (207/28) .
(3) مجموع الفتاوى (221/28).
(4) انظر: الموافقات للشاطبي (111/4).

وقال علي رضي الله عنه: "إن أخوف ما أتخوّف عليكم اثنتان: طول الأمل، واتّباع الهوى، فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، ألا وإن الدنيا قد ولّت مدبرة، والآخرة مقبلة، ولكلّ واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإنّ اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل"[1].

حفّت النار بالشّهوات وحفّت الجنة بالمكاره:

للهوى خطورته في لبس الحقائق وخداع النّفس وتحسين القبيح وتقبيح الحسن چ ڑ ک ک ک ک گ گ گ چ [فاطر: 8].

يقضى على المرء في أيام محنته ** حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

ترى الرجل العظيم يتلاشى ويضمحل تحت ضغط شهوة وهو لا يدري.

وحيث يتعرّض كلّ منا لاختبار يومياً فلنحدّد نقاط الضعف في نفوسنا الزوجة والولد والمال والمنصب والكلام في الخصوم والأصدقاء والأقران والمخالفين فمن هؤلاء من سوف تقدّم له تنازلات ؛ لأنك تهواه نعم فقد يسمو بك الورع عن أشياء لا توافق هواك، وتشنع على الآخرين حين اقترافها.

وقد تتقحم أموراً تحتقرها هي في الشريعة أمثال الجبال ، وحين يكون الورع صفة لازمة فهو مطّرد في كل التّصرّفات حاضر في كلّ الرّغبات ، أمّا الورع الانتقائي فهو ينهزم أمام الهوى قال سفيان الثّور ي: "الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بالأكل الغليظ، ولا لبس العباء "[2]، وقال يحيى بن معاذ : "لا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى يكون فيه ثلاث خصال : عمل بلا علاقة ، وقول بلا طمع، وعزّ بلا رياسة"[3].

إذاً كلّنا يتعرض لاختبار، وكلّنا يتذكّر نجاحاً وإخفاقاً في زلّة ونشوة وعثرة

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب في الأمل وطوله (89/8)، والإمام أحمد في فضائل الصحابة (530/1) برقم (881)، وابن أبي شيبة في مصنفه (100/7) برقم (34495).
(2) الزهد، لابن أبي الدنيا (ص63) برقم (109).
(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (14/2).

وإقالة، "وكأي ممّا تأتيه النّفوس ممّا تهواه ظانّة أنّها انّما تأتيه لله"[1].

لذا علينا "تفرّس طلّاب العلم الشرعي ، ومعرفة نفسيّاتهم وتفقّدهم حتى ، وإن بدت عليهم مظاهر العلم أو تمسكنوا وأخفوا ما في صدورهم، على أن يكون ذلك بعيداً عن الهوى".

ومن يتنصّلون من مظاهر السّنن بأنّهم «أصحاب شهوات غلّفت بشبهات»: «إن المتنصلين من السنن إمّا عبثاً بلحاهم أو بثيابهم أو تخليطاً في البيوع والمشتريات أو توسّعاً في المباحات، عندهم رقّة في الدين ، وضعف في الإيمان والالتزام، ولكن يبحثون عما يوافق أهواءهم من أصول الإرجاء، حيث إن عدداً من المتحولّين من الدّعاة والناشئة وقعوا في بعض لوثات الإرجاء بعد أن «فتنوا بالمال أو الإغراء أو ضلوا الطريق». كما أن الإرهابيين ركبوا صهوة الخروج والتفجير والكلمات الرّنانة الانفعاليّة، والشّعارات البرّاقة، وتبيّن أن أرضيتهم نشاز ، ولديهم استعداد نفسي للخروج مسبقاً ، وفي داخلهم شهوات. فاختاروا من الشّريعة ما يوافق هذه النزعة النفسية ولم تتمحّض مقاصدهم للحقّ ذاته.

وهذا من الورع الانتقائي: «تجد بعض الناس ورعاً في الأعراض لكنه مخلط في الأموال ، وتجده ورعاً في السّنن ، ولكنه غير متورّع مع السلطان وولي الأمر»، وهذا يعز ى إلى الانتقائية والمزاجية التي يمارسها، أمّا الورع الحقيقي فهو ما شمل حفّ الشّارب وتقصير الثّياب ، وبّر الوالدين، وترك الغيبية والنّميمة، وطاعة ولي الأمر ، والتورّع عن المشتبهات ، والوقوع في لوثات التّصوّف والنّسك الأحمق ، وشطحات الأنفس أو ما يقدح في التّوحيد ، والتّوكل ممّا يصنعه بعضهم. فهو في الصّغير والكبير من القضايا لأنّ الحامل عليه عظيم وهو خوف الله وامتثال أمره، لذا علينا تدبّر «فقه المآلات» وعدم كسر قاعدة سدّ الذّرائع بدعوى فتح الذّرائع ، أو أن المجتمع ناضج ولا يحتاج لمنع ، واعتبار أن ما أخذه يكفيه من المناعة ليخترقوا بذلك بنية المجتمع وعزله عن العلماء الرّبانيين.

* **حول اتّباع المتشابه** قال القرطبى رحمه الله:

(1) مجموع الفتاوى (207/28).

"وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْأَنْبَارِيُّ: وَقَدْ كَانَ الْأَئِمَّةُ مِنَ السَّلَفِ يُعَاقِبُونَ مَنْ يَسْأَلُ عَنْ تَفْسِيرِ الْحُرُوفِ الْمُشْكِلَاتِ فِي الْقُرْآنِ، لِأَنَّ السَّائِلَ إِنْ كَانَ يَبْغِي بِسُؤَالِهِ تَخْلِيدَ الْبِدْعَةِ وَإِثَارَةَ الْفِتْنَةِ فَهُوَ حَقِيقٌ بِالنَّكِيرِ وَأَعْظَمِ التَّعْزِيرِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَقْصِدَهُ فَقَدِ اسْتَحَقَّ الْعَتْبَ بِمَا اجْتَرَمَ مِنَ الذَّنْبِ، إِذْ أَوْجَدَ لِلْمُنَافِقِينَ الْمُلْحِدِينَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ سَبِيلًا إِلَى أَنْ يَقْصِدُوا ضَعَفَةَ الْمُسْلِمِينَ بِالتَّشْكِيكِ وَالتَّضْلِيلِ فِي تَحْرِيفِ الْقُرْآنِ عَنْ مَنَاهِجِ التَّنْزِيلِ وَحَقَائِقِ التَّأْوِيلِ. فَمِنْ ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْقَاضِي أَنْبَأَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَازِمٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يسار أن صبيغ بن عسل قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَعَنْ أَشْيَاءَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَبَعَثَ إِلَيْهِ عُمَرُ فَأَحْضَرَهُ وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ مِنْ عَرَاجِينِ النَّخْلِ. فَلَمَّا حَضَرَ قَالَ لَهُ عُمَرُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ صَبِيغٌ. فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ عُمَرُ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ فَضَرَبَ رَأْسَهُ بِعُرْجُونٍ فَشَجَّهُ، ثُمَّ تَابَعَ ضَرْبَهُ حَتَّى سَالَ دَمُهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ وَاللَّهِ ذَهَبَ مَا كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي"[1].

المسألة الثّانية: تطبيقات عمليّة على الورع الانتقائي عقدياً.

1. الولاء والبراء . خلل الميول العقدي تحت ضغط الهوى ، لذلك ترى أشخاصاً لهم مواقف واضحة في مسائل معينة ، لكنّهم في الموقف من المخالف ممن يهوون تتغير أحكامهم في التّبديع أو التّفسيق والسّبب الهوى.
2. ممارسة أعمال واضحة الحكم الشّرعي العقديّ ، ثم ترى من لهم منهج واضح في الموقف منها لكّنهم تحت ضغط العاطفة والهوى يحتالون على تخفيف أو تعنيف الموقف، مثل بعض الرقى والرقاة مما لا يجوز تعاطيها أو الذّهاب لأصحابها أو السحرة، فلنهم حين الرضوخ للهوى يتغير الوقف.
3. تباين المواقف من المخالف في قضايا متشابهة ، لكن لضعف الأنفس وانهزام العقل مع قوم بينه وبينهم مصالح تعامل معها برخاوة بخلاف قوم آخرين فقد تصلّب معهم برغم اتّفاق القضيّة صورة وحكماً.
4. الموقف من الفرق ، تداخلت بعض الفرق والطوائف بحكم التنقلات والتقنيات الحديث في قصر المسافات ، فالتقى أقوام بآخرين، وتأثرت

(1) تفسير القرطبي (4/14-15).

مناهج بغيرها، مما كان له أثر واضح في تغير الموقف بحكم الاغتراب ، أو جمعهم نظام عام في بلاد المهجر فذابت بعض القناعات وتغيرت بعض الأحكام.

5. الموقف من الأشخاص ، فقد تغيّرت مواقف لأناس من بعض أقرانهم أو معارفهم لوجود تغير غير مؤثّر في أصل القضية، فتجده يتغير موقفه بناء على تغيّر موقف النّظام أو تسنّمه موقع اً معيناً ذا تـأثير، أو كان هناك توجّس أو شائعة بنيت عليها عقائد من ولاء وبراء أو وشاية أو دعاية.
6. التفريق بين مسائل متشابهة حيث تجد أناس اً ليست عندهم أي مهاودة لمسالة عقدية، مثل القبور أو التّعلّق بأصحابها أو المناسبات البدعيّة ، ثم تجد لهم موقفاً مغايراً حين تصدر من أصحاب لهم أو شركاء في مهمّة أو مشروع دعوي، وهنا تتغير الأحكام مع أن المسألة واحدة.

الموقف من الحكومات ، وهي أوضح شي ء في هذا الزمن فهي منظومة عالمية لها عقود ومعاهدات ينبغي أن نفهمها على ضوء دراسة علمية مؤصلة ولكن تجد بعضهم يجرح دولة كاملة شعباً ونظاماً بحكم تغيّر موقف دولي عام غير خاضع لمقاييس شرعية ، أو تـأصيل علمي ، لكنه موقف سياسي خاضع للمصلحة الّتي تبنى عليها معظم سياسات العالم ، فتجد بعض من ينسب للعلم يتغير موقفه تبعاً لذلك وليس للحكم الشرعي، بل تغير بناء على تغير الحال.

وفي هذا من الفتنة للأُمّة عامة وخاصة ؛ لأنّهم يرتبطون بغير الثّوابت إذا كانت المواقف التي تحكمهم خاضعة للمصالح أو الضّغوط الدّولية.

وهذا له أكثر من سبب؛ منها:

1. الخلط في مفهوم السّياسة الشّرعية والسياسة المدنية.
2. اختلال ميزان تنزيل الحكم على الواقعة بناء على خلل في تصوّر المسألة أولاً ، ثم تنزيلها ثانياً ، أو تنزيلها في وقت يقتضيه الأمر دون وقت، فالأمر يتعلّق ب أمور كثيرة ، وتتعاقب أجيال على مسائل دون اصطحاب أحوالها فيختلفون في أمر له ملابساته وقدر معاصريه الاجتهاد حسب الإمكان.
3. توظيف المقدّس للمدنّس ، واستغلال بعض الأنظمة لجهل بعض الصّالحين في لعب السّياسة، وهذا تشويه لهم ولما يدعون إليه من برامج

إصلاحيّة.

4. الغفلة عن بعض المعاهدات، وظروف التّوقيع عليها وفقه النّقض لأصل الاتّفاق الذي بنيت عليه المعاهدات.
5. الخلل في تنزيل قاعدة درء المفاسد وسدّ الذرائع أو فتح الذّرائع.
6. الخلل في تنزيل فقه الموازنات.
7. الخلل في فهم فقه المآلات.

المبحث الثّالث

علاج مزالق الأهواء (الاعتراف، الاعتذار، التّصحيح)

التوبة والندم منهج شرعي في القرآن والسنة وسيرة سلف الأُمّة.

الاعتذار مقام عظيم يكسر الكبرياء ويصعب معه العود عن الخطأ، فلابدّ أن يعوّد الإنسان نفسه عليه ، ومن لم يعتده صغيراً فانه يصعب عليه كبيراً ، أو حين يكون له أتباع ومريدون ، " ومن أقبح الذّنوب التي قد أعدّ لها الجزاء العظيم، الإصرار على الذنب"[1].

التصحيح// قد يجرؤ الانسان على الاعتذار لكنّه يبقى على مواقفه السّابقة مما يزهد النّاس في النّصح، ويجعلهم يواصلون النقد العلني بغية تغيير ملموس ، لذا لابد من قطع الطريق على النفس والشيطان والناس بحيث يتّخذ الإنسان موقفاً عملياً واضحاً، ويصحّح عبارته أو يغير موقفه أو يمسح غلطته سواء كانت في معتقد أو اشخاص أو مناهج وقضايا.

هذا القلب تتجاذبه قوّتان: "قوّة الهوى"، وما تميل إليه النفس وتشتهي، وقوّة "الإيمان" (أو التصديق والاطمئنان) بما في العقل من أفكارٍ وقناعات، والأقوى منهما وقت اتخاذ القرار هو الذي يستولى على الإرادة، ويوجه القرار لصالحه.

فالإيمان دافع للسلوك الإيجابي ﭽ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ﭼ [الحج: من الآية 32].

والهوى دافع للسلوك السلبي ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [القصص: من

(1) صيد الخاطر، لابن الجوزي (ص38) .

الآية 50].

فان المعلومات والقناعات إذا لم تكن مسنودة بـالإيمان وتصديق ونية تقاوم الهوى؛ فإنها لن تُترجم إلى واقع عملي، ومن ثم يصبح الكلام في جانب، والسلوك في جانب مناقض تماماً؛ لانفصال السلوك عن المعتقد، وهذا دليل على مهمة القلب ودوره في تحريك الجوارح ، وأنه لا انفصال بين القول والعمل إلا في حالات الإكراه أو النسيان والخطأ، وإلا فان الأصل الانسجام بينهما ، وعليه فإن القناعات والأفكار لا تعتبر عملاً حتى تتحول إلى واقع عملي ممارس.

فإذا كان الإيمان أقوى من الهوى استطاع أن يترجمها إلى واقع.

ولابد من محفّزات من الترغيب والترهيب حتى لا ينهزم الإنسان لسلطان الهوى، ويصده عن العمل بالأماني والتسويف.

لذا فان المعرفة العقلية وحدها لا تحقق الاستقامة ، وهي القيام بواجبات العبودية لله عز وجل، بل لا بد أن تتحول هذه المعرفة إلى إيمان عميق يرسخ مدلوله في القلب وينتصر على الهوى لينعكس أثره على السلوك ، و إلا بقيت معرفة مجرد كما هي معرفة إبليس حين قال: چ ڈ ڈ ژ چ ... [الحجر: من الآية 39]، ومعرفة المشركين: چ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ و چ [الأنعام: من الآية 33]، ومثلها چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ چ [النمل: من الآية 14]، وحين يقود العلم والمعرفة الى العمل تتحقق الثمرة المرجوة منه ويتجلى هذا الأمر في قوله تعالى: چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ و و ۇ ۇ ې ې چ [الحج: من الآية 54].

ولقد نزل القرآن في اقوام يقرون بربوبية الله بل ويقسمون به چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ چ [التوبة: من الآية 107]، ومع هذا فهم لا يخشونه، ولا ينقادون لشرعه، وهذا يدلّ على أن المعرفة والإقرار وحدهما لا يكفيان ما لم ينشأ عنهما إيمان في القلب وتصديق وعمل، ومن الآيات التي تُخبرنا بذلك قوله تعالى: چ ے ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ چ [المؤمنون]. فهذا الإقرار لا يدخلهم في عداد المؤمنين ما لم يتحول إلى يقين

واعتقاد وعمل.

من هنا تظهر أهمية التربية الإيمانية؛ لتقهر الهوى، ولئلا يختلط عليه العمل لهواه والعمل لله؛ لأن العابد المخلص المتجرد من حظ النفس ينشط للعمل أكثر من غيره لما فيه من مراقبة الله واللذة التي يجدها في قلبه.

وحين ترى تغييرًا سلبيًّا في السلوك فإن ذلك يعكس تمكُّن الهوى من القلب وضعف الإيمان فيه؛ لأنه ينقاد لهواه وليس طاعة مولاه.

وهذا يُفسِّر ظاهرة انفصال الفعل عن القول، والعمل عن العلم ، وكثرة الدعاوى والأماني وتخلف ظاهر في مجالات الامتحان التي يتعرض لها كلّ منّا حسب ميله.

فكلَّما ضعف الإيمان تمكَّن الهوى وهي علل خطيرة تزيد وتنقص بحسب ضعف درجة الإيمان وقوّتها، فمن آثار ضعف الإيمان: أنّك قد تجد شخصًا كثير الحديث عن القيم، والمثل، والأخلاق، لكنّه يمارس عكس ما يتحدّث عنه، وفي بعض الأحيان تجده وقد اعتراه الضّيق من حاله وواقعه لكنه لا يستطيع تغييره؛ لأنّ هواه قد سيطر على إرادته واستولى عليها.

ومن آثار ضعف الإيمان أيضًا: التّرخّص فيما لا ينبغي التّرخّص فيه، والتّساهل والتّباطؤ في تنفيذ أوامر الشّرع، والبحث عن الرّخص والأعذار، وتبنّي الآراء المرجوحة والضّعيفة لإيجاد المبرّر والمسوِّغ للتّفلُّت من التطبيق الصّحيح للدّين.

ومن آثاره: شدّة الاهتمام بالدنيا، لمن هي نقطة ضعفه ولكل منا ضعف في جانب يختلف عن غيره ، والحرص على تحصيلها، وارتفاع سقف الطّموحات فيها، وانشغال الفكر بها، مع كثرة أحلام اليقظة بالثراء والرفاهية. والأماني الوهمية والمقارنات التي تفقده شكر ما حوله من النّعم.

ومن مولّدات الهوى ضعف الورع الحقيقي، وهو المطّرد في جميع مناحي الحياة، والوقوع في دائرة الشهوات وتغليفها بالشّبهات فراراً من الاعتراف بالضّعف والنّقص وتقبّل النّقد والنّصح، والاقتراب من دائرة المحرّمات ،

كالتهاون بالكذب والتّوسّع في باب الحيل والتّورية ، وعدم قول الحقيقة كاملة لشيء في النفس، وعدم الوفاء بالعهود والمواعيد.

ومنها كذلك: عدم الحزن على فوات الطّاعة، أو الوقوع في المعصية ؛ لما أحاط به من تهوين ش أن الطّاعات والقرب وازدراء العاملين والانبها ر بلغة الكلام وتنميق الألفاظ مما يجرؤه على تقحّم المعاصي ، وتفويت العبادات سواء المحضة، أو ما يكون فيه نفع متعدّ للناس كالإصلاح وقضاء الحوائج ونحوها.

يقول عبد الله بن مسعود: "إنّ المؤمن يرى ذنوبه كأنّه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذبابٍ مرَّ على أنفه فقال به هكذا"[1]. (أي: نحّاه بيده أو دفعه).

التوحيد والهوى متضادان، كما قال ابن القيم : "فإن الهوى صنم ولكلّ عبد صنم في قلبه حتّى في هواه، وإنمّا بعث رسول الله ﷺ لكسر الأصنام وعبادة الله، وليس مراد الله سبحانه وتعالى كسر الأصنام المجسدة وترك الأصنام التي في القلب، بل المراد كسّرها من القلب أولاً"[2].

ويمثل هذا الخلق العالي أبو أمامة الباهلي -رضي الله عنه- لما رأى سبعين رأساً من رؤوس الخوارج وقد جُزَّت ونُصِبَتْ على درج دمشق، قال: "سبحان الله! ما يصنع الشيطان ببني آدم؟ كلاب جهنم، شرّ قتلى تحت ظلّ السماء، ثم

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب التوبة (67/8) برقم (6308) .
(2) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص480-481) .

بكى، وقال: إنمّا بكيت رحمة لهم حين رأيتهم كانوا من أهل الإسلام"[1].

وحين يخفق الورع الانتقائي تقع الكوارث ، قيل في الأثر : "لأن تأمنوني على كنوز الدنيا خيرٌ لي من أن تأمنوني على أمة سوداء "، ولا شكّ أن هذا ظاهر حال الصّلاح لكنه لا يأمن على نفسه الفتنة والهوى ، والقائل عابد زاهد لكنه صادق مع نفسه، فقد لا يقوى ورعه وإيمانه على الصّمود، كما أنّه لا يجوز للإنسان أن يعرض نفسه على الفتن اختباراً لها ؛ لأنّه لا يدري ما يعرض له حينها من تعلّق أو ضعف كما جاء في الأثر ، روى الإمام أحمد وأبو داود والحاكم عن أبي الدّهماء ، قال: سمعت عُمران بن حصين يُحدّث، قال: قال رسول الله ﷺ: "من سمع بالدّجّال فلينأ عنه فوالله إنّ الرّجل ليأتيه وهو يحسب أنّه مؤمن، فيتّبعه مما يبعث من الشّبهات أو لما يبعث به من الشّبهات"[2].

فاهرب بنفسك عن مواضع الفتنة ، وأسباب إثارة الشهوات: الأسواق والمجلات ومواقع النّت المشبوهة ، وفضول النّظر لئلا يقع الإنسان على ما لا يحتاج إليه، والخلوة، كلّها أسباب تثير الشّهوات.

وغضّ البصر:

كل الحوادث مبدؤها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ... فتك السّهام بلا قوس ولا وتر
يسر مقلته ما ضر مهجته ... لا مرحباً بسرور عاد بالضّرر

قطع الأفكار الرديئة: فهي من أعظم ما يؤثّر على الشّباب لا سيمّا المراهق، فهي لا تزال تتداعى حتى تصل إلى المحظور وأدناها استعمال الشّهوة الخفية (الاستمناء) وأعلاها معصية الله عزّ وجلّ، وأوسطها وهو أشّدها حالة

(1) أخرجه الترمذي في سننه، باب ومن سورة آل عمران (226/5) برقم (3000)، وقال: "هذا حديث حسن"، وأحمد في مسنده (654/36) برقم (22314)، وصححه محققوا المسند رغم انقطاع إسناده، لأنه روي متصلاً من غير هذا الوجه.

(2) رواه أبو داود في سننه، باب خروج الدجال (116/4) برقم (4319)، وابن أبي شيبة في مصنفه، باب ما ذكر في فتنة الدجال (488/7) برقم (37459)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (1080/2) برقم (6299) .

التّوتر والاغتراب والقلق النّفسي والذّهني الذي يعتريه بسبب الشّهوة والأفكار الرديئة.

ملء الفراغ: فهو من أخطر الأدواء المؤدّية للمعاصي، فإذا فرغ طالع المجلّة التي تفعل فعل السّهام بلا سهم ولا وتر، لكنّه إذا ملأ فراغه حتّى بالمباحات، أو قراءة كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة رسوله، لكن لو لم يستطع عليه أن يجعل له برنامجاً في الآداب والتّاريخ والرياضة المباحة مع صحبة صالحة.

وأخيراً تذكر دائماً ((إن اختبارك فيما تهوى)) .

قال شيخ الاسلام : مجاهدة هوى النفوس "وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانة أنها تفعله طاعة لله"[1].

لا شكّ أن في مخالفة النفوس لهواها اعتزازها وقُوتها ومنعتها من الشيطان وجنوده وعدم ذلّها، فقمع هوى النفوس بمقمعة المتابعة، وضربها بسياط الاقتداء، وصرفها بزمام التّقوى، به يحصل العزُ والامتناع والقوة والارتفاع بحسب الاتباع ومخالفة الابتداع.

قال عليه الصّلاة والسّلام: "أفضل المؤمنين إسلاماً من سلم المسلمون من لسانه ويده، وأفضل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً، وأفضل المهاجرين من هجر ما نهى الله تعالى، وأفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات الله تعالى"[2].

وعليه فلا يستطيع العبد التّسنُّم والصّعود إلى محاب الله إلا بمجاهدة هوى النفس.

قال المرداوي في منظومة الآداب:

وفي قمع أهواء النّفوس اعتزازها ** ونيلها ما تشتهي ذلّ سرمدي[3]

فلا يحصل الرجوع عن هوى النفس ومحبوباتها الشّهوانية المطبوعة عليها إلا بمجاهدة وتصبّر واحتمال مشقّة حتى تطمئن النفس، فإذا اطمأنت أحبّت ما يحبّه الله تعالى ورسوله ﷺ، ونشأ عن هذه المحبّة امتثال الأوامر واجتناب

(1) مجموع الفتاوى (207/28).
(2) صحيح الجامع الصغير وزياداته (252/1) برقم (1125).
(3) انظر: موارد الضمآن لدروس الزمان (699/6).

المناهي والرضى بالقضاء والقدر.

عاقبة الهوى المذموم:

وليعلم أن الهوى المذموم راجع إلى اتّباع الشبهات والشهوات. قال ابن رجب رحمه الله: "وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشّرع ولهذا يسمّى أهلها أهل الأهواء.

وكذلك المعاصي إنما تقع من تقديم الهوى على محبّة الله ورسوله ومحبة ما يحبه"[1].

والغرض حمل النفس على مجاهدة هواها عموماً والحذر من اتباعه، فالهوى عن الخير صاد، وللعقل مضاد، لأنه يُنتج من الأخلاق قبائحها، ويُظهر من الأفعال فضائحها ويجعل ستر المروءة مهتوكاً، ومدخل الشر مسلوكاً.

قال بشر بن الحارث رحمه الله: "اعلم أنّ البلاء كلّه في هواك والشّفاء كله في مخالفتك إياه"[2].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمّه فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك ولا يطلبه، ولا يرضى لرضى الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له هواه"[3].

آثار اتباع الهوى:

وليعلم أن لاتباع الهوى آثاراً سيئة من أهمها:

1. سبب لفساد الأمور، قال تعالى: چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئه چ [المؤمنون: من الآية 71].

2. سبب الضّلال عن الهدى والهوان في الدنيا: قال تعالى: چ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ چ

(1) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، تحقيق: ماهر الفحل (1151/3).
(2) ذم الهوى، لابن الجوزي (ص24).
(3) منهاج السنة (256/2).

ۋ ې ىۑ ۑ ﯨ ﯨ ﯪ ﯪ ﭼ [سورة الأعراف].

3. أنه موجب للعقوبة من الله، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪﭼ [سورة الجاثية].

4. أنه يورث الكبر والعجب.

5. أنه يصدّ عن قبول الحقّ واتباعه، ويزين الباطل ويقلبه في صورة الحقّ.

قال ابن تيمية رحمه الله: "وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانّة أنها تفعله طاعة لله"(1).

6. أنه سبب في ظلم العبد لنفسه ولغيره.
7. أنه يضعف الإرادة والعزيمة ويخذل عن طلب المعالي.
8. أنه سبب في البعد عن السنة والنطق بالبدعة.
9. أنه سبب للهموم والأحزان.
10. أنه سبب التفرق والاختلاف وكثرة الشقاق والنزاع.

السبيل العملي لمجاهدة هوى النفوس:

وقد تكلم الإمام ابن الجوزي رحمه الله عن السبيل العملي لمجاهدة هوى النفوس فذكر في ذلك سبعة أشياء في كتابه ذم الهوى:

1. التّفكّر في أن الإنسان لم يخلق للهوى العاجل وإنّما للنظر في العواقب والعمل للآجل.
2. أن يفكر في عواقب الهوى فكم فوت من فضيلة وكم أوقع في رذيلة.
3. أن يتصوّر العاقل انقضاء غرضه من هواه، ثم يتصور الأذى الحاصل عقب اللذة فإنه يراه يربي على الهوى أضعافا.
4. أن يتصوّر ذلك في حق غيره ثم يتلمَّح عاقبته بفكره.
5. أن يتفكر فيما يطلبه من اللّذات فإنه سيخبره العقل أنه ليس بشيء وإنما عين الهوى عمياء.
6. أن يتدبّر عز الغلبة وذلّ القهر فإنه ما من أحد غلب هواه إلا أحس بقوة وعز، وما من أحد غلبه هواه إلا وجد في نفسه ذل القهر.

(1) مجموع الفتاوى (207/28).

7. أن يتفكّر في فائدة المخالفة للهوى من اكتساب الذّكر الجميل في الدنيا وسلامة النفس والعرض والأجر في الآخرة[1].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «اسْتَمِعُوا عِلْمَ الْعُلَمَاءِ، وَلا تُصَدِّقُوا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمْ أَشَدُّ تَغَايُرًا مِنَ التَّيُوسِ فِي زُرُبِهَا» [2] وهذا كلام قيل في الصدر الأول فكيف الحال اليوم.

ناهيك عن مسالك «الفجورٍ» في الخصومة وتقوّلا واستعداءً للسلطة، يدفعهم لذلك «الشهوة الخفية». وأحسب أن حديثَ: «ما ذئبان جائعان» [3] له القدرة في حسمِ النزاع في مسألة الدوافع.

* وورد عن مالك بن دينار - يرحمه الله تعالى - قال: «يؤخذ بقول العلماء والقّراء في كلّ شيء إلاّ قول بعضهم في بعض، لأنّهم أشدّ النّاس تحاسداً وتباغضاً»[4].

* يقول أبو حامد الغزالي - يرحمه الله -: «ولا ينفكُ المُناظر عن التّكبّر على الأقران والأمثال، والتّرفّع إلى فوق قدره، حتى إنهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه في الارتفاع والانخفاض، والقرب من وسادة الصّدر والبعد منها، والتّقدّم في الدخول عند مضايق الطّرق، وربّما يتعلل الغبي المكّار الخدّاع منهم بأنه يبغي صيانة عزّ العلم، وأن المؤمن منهي عن الإذلال لنفسه... فيعبر عن التواضع الذي أثنى الله عليه وسائر أنبيائه بالذل، وعن التكبر الممقوت عند الله بعزّ الدين، تحريفاً للاسم وإضلالاً للخلق»[5].

* وأستاذ النّقدة الإمام الذهبي - يرحمه الله تعالى - يقول: «كلام الأقران

(1) انظر: ذم الهوى، لابن الجوزي (ص14-15).
(2) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبدالبر (1090/2) برقم (2123).
(3) جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه (588/4) برقم (2376) وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وابن أبي شيبة في مصنفه (84/7) برقم (34380)، وأحمد في مسنده (61/25-62) برقم (15784) وقال محققوا المسند: "إسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين غير علي بن بحر".
(4) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبدالبر (1091/2) برقم (2126).
(5) الإحياء (319/4) .

بعضهم في بعض لا يعبأ به، ولاسيما إذا كان لحسد أو مذهب أو هوى»[1].

* وقال السُّبكي - يرحمه الله تعالى - قلت: "ورأيت في كتاب (معين الحكام) لابن عبدالمعين من المالكية وقع في المبسوطة من قول عبدالله بن وهب أنه: لا يجيز شهادة القارئ على القارئ، يعني العلماء؛ لأنّهم أشدّ النّاس تحاسداً وتباغياً، وقاله سفيان الثوري، ومالك ابن دينار..." [2].

* والمحقّقون كثيراً ما ردّدوا القول بأنّه: «يجب ألاّ يلتفت إلى كلام ابن أبي ذيب في مالك، وافتراء ابن معين في حقّ الشّافعي، ولا في تقوّل النّسائي على أحمد بن صالح، لأنّ هؤلاء أئمة مشهورون، صار الجارح لهم كالآتي بخبر غريب، لو صحّ لتوافرت الدّواعي على نقله، وكان القاطع قائماً على كذبه»[3].

* ولنعد للذّهبي- ثانيةً - حيث قال في «ميزان الاعتدال» في ترجمة أبي نعيم صاحب «الحلية»: "كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به، ولاسيما إذا لاح لك أنّه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، وما ينجو منه إلا من عصم الله، وما علمت أن عصراً من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصّديقين.

ولو شئت لسردت من ذلك كراريس .. اللّهمّ فلا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم"[4].

* ورحم الله ابن تيمية حيث يقول: «حتّى إن الرّجل ليشار إليه بالزّهد والدّين والعبادة، ولسانه يفري في لحوم الأحياء والأموات وهو لا يبالي ما يقول...» [5].

وهذا إشارة إلى أن التّعبّد المطّرد أن تكفّ عن أعراض الآخرين و إن اشتهت نفسك الحديث والجرح.

فكيف لو أنّ هؤلاء أدركوا شيئاً من بشاعةِ ما نعيشه أيامنا هذه ، ونحن في

(1) ميزان الاعتدال (111/1).
(2) طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (9/2).
(3) انظر: قاعدة في الجرح والتعديل (ص33).
(4) ميزان الاعتدال (111/1).
(5) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم (ص159).

سيادةِ زمنِ وسائل التّواصل «الالكتروني» التي ما من سترٍ إلا وقد هتكته؟!. ولا مجافاة للحقيقة حين القول بأنّ التّنقّص من قدر «العلم/ وأهله» هو ممّا قد كسبته أيديهم -وقد عفا الله عن كثير- وشيءٌ من برهان هذا القول؛ باستطاعتك أن تبصره رأي العين في «تويتر» بوصف هذا الأخير يأتي أنموذجاً صارخاً لمقارفاتٍ مبتذلةٍ وهجينةٍ، إذ قد بلغت حدّاً متناهياً من الإسفافِ تباغضاً وتحاسداً وتجادلاً مقيتاً وكذباً وزوراً من القول. ألفينا الصّبية - في تويتر- يتندّرون به صبحهم والمساء، على حين أن أبطال هذا الإسفاف المقيت يُدعون في الناس «علماء» أو طلبة علم أو دعاةً؟! أولئك الذين قد أُتوا من قبِل ضعف تألّههم/ وتعبّدهم ومن قصور في تديّنهم ومن ولاءاتٍ لتحزّباتٍ ما أنزل الله تعالى بها من سلطان.. فضلاً عن تهافتٍ رخيصٍ على «المناصب» واسترضاء السّياسي في سبيل بلوغها على حساب الّديني/ الشّرعي..! ما أورث انكفاء على الدنيا وتنافساً على حُطامها! [1].

ولعلّ في هذا العوض المختصر مفاتيح لجهود الفضلاء في معالجة الورع الانتقائي وتشخيص أمثلته في كلّ مجال بحسبه، ليكون مناراً في طريق السّالكين، والله تعالى ولي التوفيق.

(1) انظر: http://www.285jeddah.com/articles/details/8 .